(٢٣)

القراءة : الفصل الأول في كتاب التربية (٣)

« ترجمة »

المدخل المتوازن في تعليم القراءة :

ومن المؤسف أنه ليس من السهل على كثير من المدرسين أن يتعرفوا صعوبات التلاميذ في القراءة ، أو يتعرفوا التلاميذ الذين يعانون من ضعف القراءة ، وحينما ينجح المدرسون في ذلك ؛ أي يكتشفون صعوبات تلاميذهم يجدون أنفسهم ضحية للصراع بين المدارس المختلفة التي تتعامل أو تعالج تلك الصعوبات ، التي قد توجد في تعلم الأطفال للقراءة ، فهناك مدرسة تعطي أهمية كبرى للأصوات لتعليم الأطفال ، في المراحل الأولى من تعلم القراءة وهنـاك مدرسة أخرى تؤكد على المدخل الكلي أو الطريقة الكلية لتعليم القراءة .

وهنا يثار سؤال مهم : هل ينبغي على المدرسين أن يعتمدوا على أفكار المدرسة التي تعتمد في تعليم القراءة على الوعي بالأصوات ، أو على المدخل اللغوي الكلي ، أو على المدخلين معًا ، على الرغم من أن مئات البحوث التي أجريت على صعوبات تعلم القراءة تؤكد نتائجها أن هناك اتجاهًا متزايدًا للاعتماد على المدخل الكلي ، بدلاً من الاعتماد على المدخل الصوتي ، إن هذا الاتجاه ربما يزيد من صعوبة تنمية قدرات التلاميذ ذوي الصعوبات ، ويقلل من إمكانية إخراجهم من هذا الدرك الذي هم فيه ، بل الأكثر من هذا يمكن أن يؤدي المدخل الكلي إلى تقدم التلاميذ ببطء في تعلم القراءة .

٢٣١

وفي إطار تعليم التلاميذ القراءة دارت مناقشات مهمة حول دور كل مما يأتي في تعليم القراءة .

١- إعطاء فرص الكتابة للتلاميذ .

٢- تقديم الأدب الجيد .

٣- وخلق بيئة تعليمية جيدة غنية .

وبعد مناقشة هذه الأمور الثالثة تبين أنه ليس كافيًا بالنسبة لكثير من التلاميذ أن :

١- تُعطَى لهم فرصًا للكتابة في حد ذاتها ، أم يتعلمونها كأداة للتعلم ، لابد من مساعدة من المعلمين ، وهناك عدة استراتيجيات لتعليم القراءة للمبتدئين ، سواء العاديون أم غير العاديين ، علاوة على ذلك ذكر بعض الباحثين أن هناك مهارات أساسية لتعلم القراءة ، ومعرفة المعلمين والآباء بهذه المهارات ، ومعرفتهم بالطرق أو الاستراتيجيات الخاصة بتعليم القراءة يساعد هؤلاء أولئك على تعليم الأطفال القراءة بفعالية أكثر .

القراءة مفتاح النجاح :

كما ذُكِر من قبل ، القراءة بوابة التعليم ، وفهم اللغة المكتوبة واستخدامها مطلب أولي لاكتساب المعرفة ، ومما يزيد أهمية تنمية مهارة القراءة بفاعلية أنها أصبحت مطلبًا أكثر إلحاحًا وأكثر أهمية في مجتمع اليوم الزاخر بالمعارف والمعلومات ؛ ففي الماضي كان من الممكن للشخص الأمي أن يحصل وظيفة جيدة كي يكفل أسرته ويعيش حياة مريحة ، أما اليوم فقد تغير الحال ، وأصبح الأطفال الذين لا يتعلمون القراءة يعيشون حياة متدنية ، كما يعيشون على هامش المجتمع ، المعرفة للجميع هي المسألة الأساسية في عالم اليوم وفي كل المجتمعات ، وهي المنفذ الرئيس للحياة الكريمة ، ومن هنا

تواجه المدرسة تحديًا كبيرًا متجددًا ، ويطالب التربويون ـ من الوهلة الأولى ـ أن يحصل كل التلاميذ على مستوى عالٍ من الكفاءة اللغوية في القراءة ، علاوة على التربويين تهتم القيادة التربوية والسياسية بهذا الأمر ، وتعي هذا التحدي ؛ ولذا يُبذَل جهد عظيم لرفع مستوى التعليم والتعلم في المدرسة ، وتحسين تعليم القراءة هو المسألة الحاسمة في هذا التوجه التربوي والسياسي ، وعلى سبيل المثال نص في الأهداف الأمريكية للتعليم عام ٢٠٠٠م على تحسين مهارات القراءة لدى الطلاب الأمريكان ، وما لم تنجح الحملة القومية في رفع مستوى الطلاب في القراءة ؛ فإن موجات أو حركات التطوير الأخرى مثل رفع مستوى التحصيل في المواد الدراسية ، والأشكال الجديدة للمحاسبية واللامركزية في الإدارة المدرسية سوف تتقدم بصورة بطيئة لارتباطها المباشر بالمستوى المتقدم للطلاب في فن القراءة .

إن تحصيل مثل هذه الأهداف يعني أن تتجه الطرق والوسائل إلى تلبية حاجات التعلم لهؤلاء الأطفال الذين يواجهون صعوبات في تعلم القراءة ـ أيًا كان سبب هذه الصعوبات ـ إن عملاً مثل هذا ليس مجرد مساواة ، إنه ـ أيضًا ـ ضرورة عملية إذا كنا فعلاً نعمل على تحسين التربية ، وإذا كنا نود أن تتحقق كل أهدافنا .

إن الأمر في غاية الصعوبة ؛ لأن المدرسة مطالبة أن تلبي المطالب الجديدة لعصر المعرفة ، بل عليها في ذات الوقت ألا تتحمل الدولة أعباء اقتصادية أخرى ، وعلى هذا ينبغي أن تصبح المدارس أكثر فعالية ، وأن يكون التعليم الذي يجري داخلها ذا فعالية أيضاً ، ولن يكون ذلك إلا إذا أفادت .

٢- أن يقدم أدب جيد .

٣- أن تخلق بيئة غنية جيدة كي يتعلموا القراءة ، إذ سيظل هؤلاء التلاميذ يواجهون صعوبة في القراءة ما لم يسيطروا على مهارات التعرف ،

ويرتبط بذلك نطق الأصوات المرتبطة بالرموز المكتوبة والوعي بها . لقد أثبتت البحوث أن الأطفال لا يتعلمون القراءة بنفس الطريقة التي تعلموا بها الكلام ، فالكلام نشاط إنساني طبيعي وتعلم الكلام لا يتطلب أكثر من فرصة للكلام والاشتراك في الحديث ، وفي المقابل تعتبر اللغة المكتوبة فنًّا واختراعًا إنسانيًّا وصناعة ؛ ويعني ذلك أن القراءة ليست مهارة يمكن أن تُتعلَّم من خلال الموقف القرائي وحده أو من خلال «الغمس» في عملية القراءة ، إذ يفيد الأطفال المبتدئون من التعليم الذي يساعدهم على فهم الكلمات حين يسمعونها أو يتكلمون بها أو يقرءونها ؛ ويستفيدون ـ أيضًا ـ من تعلم الحروف والأصوات التي تتركب منها الكلمات أو تتكون ، كما أنهم يستفيدون ـ أيضًا ـ من مرورهم بالخبرات التي تجعل القراءة أكثر بهجةً وأكثر مرحًا ، وبتعبير آخر يحتاج تعلم القراءة إلى برنامج منظم يجمع بين أمرين مهمين ، هما فهم الرموز المقدمة ، والقدرة تحليل هذه الرموز إلى الحروف المكونة لها وإلى الأصوات المرتبطة بهذه الحروف ، كما يضاف إلى ذلك ـ أيضًا ـ الخبرات السارة التي تجعل القراءة عملية مبهجة ، وذلك يتمثل مثلاً في الاعتماد على القصة أو الحكاية أو الخبرة اللغوية في تعلم القراءة ؛ أي أن تعلم القراءة في حاجة إلى مدخل متوازن يجمع بين الفهم والتحليل الصوتي ، أو بين المتعة المترتبة على الفهم وبين الوعي بالأصوات ، ويعطي الباحثون لذلك مثلاً بولاية «كاليفورنيا» الأمريكية فلقد كانت الولاية السباقة في تحديد الطريقة الأكثر فعالية في تعليم القراءة منذ عقد مضي ، لقد كانت الرائدة في إدخال «المدخل الكلي في تعليم اللغة . . فقد ثبت من العمل مع القراء الضعاف أنه ينبغي أن يستخدم المدخل المتوازن معهم لمعالجة الضعف في القراءة ، هذا المدخل الذي يشتمل على بناء الوعي الصوتي للكلمات جنبًا إلى جنب مع الفهم الجيد للنصوص المستخدمة ، أو المقررات المقدمة إلى

الأطفال . لقد أكدت الدراسة العلمية هذا الاتجاه ، وأشارت إلى أن القراءة يمكن أن تعلم ـ بفعالية ـ بالمدخل المتوازن الذي يستخدم الأفضل من كل المدخلين المعروفين في تعليم القراءة ، وهما المدخل الصوتي ، ومدخل النصوص الأدبية الجيدة (المدخل اللغوي الكلي) .

ويحتاج الأطفال بصفة عامة إلى مساعدة كبيرة في تعليم القراءة ، سواء كانوا يتعلمونها كمهارة المدرسة من المعلومات التي تعرفها عن تعليم القراءة وعن القراءة نفسها ، وسوف يكون الأمر رائعًا إذا استطاعت المدرسة بإمكانياتها الحالية أن تجعل التعليم أكثر فعالية وأكثر جدوى ويظهر هذا ـ بصفة خاصة ـ في أن نبدأ بتعليم كل الأطفال القراءة طالما يكونون مستعدين لها ، وأن تزيد تعلم مهارات القراءة كلما تقدم الأطفال من مرحلة إلى أخرى أو من صف إلى صف آخر ، وفي غياب هذا الوعي بتقدم الأطفال في القراءة وبمستواهم فيها ؛ فإن المدرسة ستكون في وضع سيء ، حيث ستواجه بأعداد كبيرة من الأطفال الذين هم في حاجة إلى برامج علاجية في تعلم القراءة .

نحو أمة قارئة :

إن المدارس مسئولة في هذا الوقت الخطير من حياتنا ، وفي هذا الوقت الحيوي ـ أيضًا ـ أن تحقق مستوىً رفيعًا من التعليم ، وأن تفعل ذلك لكل الأطفال ، ويتطلب مواجهة هذا التحدي تعلم القراءة بفاعلية لكل الأطفال في نهاية الصف الثالث ، وأن تعمل على ذلك بكل ما أوتيت من علم ومعرفة ، إن علينا أن نقي الأطفال من الفشل في تعلم القراءة والوقاية خير من العلاج ، وعلينا ـ أيضًا ـ أن نستخدم معرفتنا بالطرق والوسائل الفعالة في تعليم القراءة فهي تزود المعلمين بالأدوات والوسائل المساعدة في تعليم معظم الطلاب القراءة ، بما فيهم الطلاب الذين لديهم ضعف في القراءة ، إن علينا أن نعلم الأطفال القراءة إلى المستوى المطلوب وظيفيًا للحياة ؛ حتى يكون الأطفال

أفرادًا فاعلين وعمالاً نشيطين ، وآباءً ومواطنين في عالم اليوم ، إن هذا التحدي يتطلب أن نضع هذه المعرفة الجديدة في أيدي المدرسين والآباء ومديري المدارس ، وملايين الطلاب الذي ينبغي لهم أن يتعلموا القراءة ويستخدموا هذه المهارة المهمة في تحصيل المعرفة بدلاً من الفشل فيها .

* * *